القصص بين أساطير الأولين وحقائق المرسلين

د / محمد عبد الرحمن المسلوت

القصة فى الاسلام

نعنى بالإسلام ، القرآن والسنة ، فقط لأن هذا التحديد هو ما أراده الله وهو يختلف عن التعبير بالمسلمين فإذا قلنا ، القصة فى الإسلام ، فهذا مفهوم خاص والقصة عند المسلمين مفهوم آخر — لأن المسلمين بشر يجرى عليهم ما يجرى عل البشر من خطأ ونسيان .

أما الإسلام فهو الدين الذى ارتضاه الله وحفظ أصوله .

أهداف القصة فى الإسلام :

يمكننا ذكر بعض هذه الأهداف مما حدده الله فى قرآنه ففى ختام ، سورة هود ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون . ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .

وهذه بعض أهداف القصة المذكورة فى الآية :

١ — تثبيت الرسول والمؤمنين فى صراعهم ضد صراع الباطل الذى قال الله عنه فى سورة الإسراء : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً(١) .

---

(١) الإسراء آيات ٧٤ ، ٧٥

٢ — تسجيل الحقائق — « وجاءك فى هذه الحق » .

٣ — الموعظة والاعتبار : « وموعظة » .

٤ — الذكريات التى يرددها السلف للخلف والكبار للصغار والآباء للأبناء « وذكرى للمؤمنين » .

٥ — العمل تأسياً واقتداء بهذه القصص كما أرشد إليه سبحانه وتعالى بقوله « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه(١) » ، و « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة(٢) » .

٦ — الأمل السعيد والمستقبل الآمن لمن تأسى بأحسن القصص « وانتظروا إنا منتظرون » .

٧ — عبادة الله سبحانه وتعالى التى عليها سعادة الدنيا والآخرة وخلق لها الإنسان « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

٨ — التوكل والاعتماد على الله : « وتوكل عليه » لأنه العليم « وما ربك بغافل عما تعملون » .

مصدر هذا القصص :

إنه من عند الله سبحانه وتعالى « ولله غيب السموات والأرض » ومن عند من يرجع إليه الأمر كله فهو الذى يقص هذا القصص فى وحى يتلى ويتعبدون به ليوقظ العقول الغافلة ويسعد القلوب الخائفة ، سجل الله ذلك فى أول « سورة يوسف » التالية لهود بسم الله الرحمن الرحيم : « الر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين »

---

(١) الممتحنة آية ٤ (٢) الأحزاب ٢١

موقف الرسول من هذا القصص :

القرآن يحدد موقف الرسول ﷺ من هذا القصص فى ختام سورة يوسف « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون »(١) .

وفى الآيتين الأخيرتين : من سورة يوسف يحـــدد الأثر القوى لهذا القصص الذى يبدل اليأس نصراً « فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

والآية الخاتمة نداء لأولى الألباب وتحديد لصدق القرآن وقصصه وإثبات أن القرآن يتفق مع ماسبق من الكتب السماوية ويفصل كل ما يحتاج إليه الإنسان وهو بهذا يقود إلى الهدى والرحمة لمن يؤمن به « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون(٢) » .

ونضطر اضطرارا لكتابة الآيات التى كان الأجدى أن نحيل الدارس إلى المصحف ؛ ولكن المصحف أصبح غريباً ، بين قوم يتخذونه مظهراً فى السيارات والمكاتب وأصواتنا فى المآتم كالذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون وقد ردد القرآن كثيرا أهدافه من القصة كما بين مصدرها وأن الرسول ما كان يعلم هذه الأنباء من الغيب وما كان حاضرا وقائعها « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين»(٣) «وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا

---

(١) يوسف ١٠٢ (٢) يوسف ١١٠ ، ١١١

(٣) هود ٤٩

مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك ، (١) ويقول فى سورة الكهف « نحن نقص عليك نبأهم بالحق »(٢) وذلك عن الفتية المؤمنة من أهل الكهف وعن سبب كثرة قصص القرآن وأمثاله نقرأ قوله تعالى « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون »(٣)

الفرق بين أساطير الأولين وحقائق المرسلين

يقول الله تعالى فى سورة القلم « ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين »(٤) فمن وصف القرآن بأنه أساطير الأولين كانت عاقبته « سنسمه على الخرطوم » .

وفى سورة المطففين « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » فالقرآن لا يقبل مداهنـــة مع من يودون مداهنته « ودوا لو تدهن فيدهنون » ولا يقبل أن يلبس الحق بالباطل « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، ويحكم بتعاسة الدنيا وعذاب الآخرة لمن يحاول النيل من قصص القرآن ومن أى أمر يتعلق بالقرآن ، لأن البعد شاسع بين القرآن والأساطير وبين الحق والخرافة .

من الضرورى أن يتضح فى اذهان الدارسين الفرق بين القصص الحق وبين أساطير البشرية حتى يثبت للانسان إنسانيته ويبقى له عقله ونور قلبه .

---

(١) القصص ٤٤ ، ٤٥ (٢) الكهف ١٣.
(٣) الزمر ٢٧ (٤) آيات ١٠ وما بعدها
(٥) آيات ١٣، ١٤ .

أنواع القصص

يقسم الدارسون القصص إلى ثلاثة أنواع :

حكاية ، قصة ، قصة قصيرة (أقصوصة) .

الحكاية : (تتبع أحداث قطاع من المجتمع) فهى كثيرة الأحداث متعددة الوقائع كثيرة الشخصيات طويلة السياق .

القصة : (هى حدث تام متحرك ينشأ عنه ضررة أو بالضرورة موقف متأزم (عقدة) ينتهى إلى حل ويؤديها أشخاص نامون فى فكرهم ملائمون فى تصويرهم وحوارهم ولغتهم لجو القصة وأحداثها .

من ذلك ندرك أن أهم أسس القصة ثلاثة :

(ا) الحدث وفكرته . (ب) العقدة وحلها .

(ج) الشخصيات وحوارها وأفكارها .

القصة القصيرة : هى موقف سريع لشخص أو أشخاص معدودين له طرافته ودلالته الاجتماعية .

عوالم القصة

وتنقسم القصة من وجهة نظر الدارس المسلم إلى ضربين أساسيين تحت كل ضرب أنواع وهذان الضربان لاساسيان هما :

١ — قصص عالم الشهادة (الطبيعة) .

٢ — قصص عالم الغيب (ماوراء الطبيعة) .

٣ — قصص عالم الشهادة « الطبيعة » وقد تكون واقعيـــة بوجهها المثالى والإجرامى — (مثالية سامية وإجرامية مسفة) أوفلسفيه فكرية .

٢ — قصص عالم الغيب (ماوراء الطبيعة) فى الإسلام نجدها فى

قصص المعجزات ومشاهد القيامة وما إليه وعند غير المسلمين فى « قصص الخرافات وأساطير الآلهة وقصص الرعب الحديثة التى من روادها القاص الأمريكى « أدجار آلان بو » .

وقد سجد العربى للقرآن واستجابت الأمم الإسلام. وأسعدتها المعجزات وقومت سلوكها مشاهد القيامة فخافت ربها واستقامت .

وحاول الإنسان أن يتدخل فى قصص ماوراء الطبيعة جاهدا أن يترسم القرآن فكانت « المقامة الأبليسية » لبديع الزمان الهمذانى » « محاولة تترسم بعض أفكار الإسراء والمعراج وتلاه « المعرى » فى رسالة « الغفران » ثم « دانتى » فى « الكوميديا الإلهية » وملتون فى « الفردوس المفقود » وما إليه .

خصائص القصة الاسلامية

وضحنا أن الاسلام هو القرآن والسنة فقط وما عداهما من عمل العلماء فى مختلف العلوم المتصلة بالقرآن والسنة إن هى إلا آراء بشريه أحرى بأن تسمى (أفكار المسلمين) وكذلك القصص فهناك قصص إسلامية وهى المستمدة من مصدر الاسلام (القرآن والسنة) وقصص المسلمين وهى المستمدة من أفكار المسلمين ولقد كان القصص فى صدر الاسلام مرتبطاً بالقرآن وبالدعوة الاسلامية ترغيباً وترهيباً فكانت كلمة (القاص) تعنى الواعظ بالأحداث (أحداث السابقين الواردة فى القرآن والسنة) ثم لما حـــدث الاختلاط وترجمت الثقافات ودخل فى الإسلام أناس لم يصلوا فى تدبر القرآن مبلغ السابقين بدأت الإضافات البشرية والمبالغات تدخل فى أسلوب القصص وتنبه العلماء والحكام لهذا الخطر فكانوا يعاقبونهم أشد عقاب فكان بعض الحكام يأمر بأخراجهم من المساجد على وجوههم وأثر عن أحمد بن حنبل قولته المشهورة (ثلاثة لا أصل لها التفسير والمغازى والسير) يقصد هذه المبالغات وهذا الخلط ، لأنهم كانوا يدركون أن القصص الإسلامية فى القرآن والسنه تسير فى اتجاهين : قصص عالم الشهاده وقصص عالم الغيب من مصدرهما (القرآن والسنه) والجميع من وحى الله العليم الخبير سبحانه وتعالى ، وأخبار الصادق الأمين — صلى الله عليه وسلم — وأنه لا يقدر مخلوق كائناً من كان — أن يزيد حركة فى الحدث أو معنى فى الفكرة أو لفظة فى الحوار أو صفه فى رسم الشخصيات لأنها هكذا فصلت من لدن حكيم خبير فالزيادة رجم بالغيب نهى الله عنه كما بين سبحانه فى عدد أهل الكهف لأنه ليس مهما فى الحدث ولا فى الفكرة ولا فى الشخصيات وحوارها ولا فى مواقف القصة

وتأزمها وحلولها . ولذلك نهى الله عن أى حديث بزيد فيها ، « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم . قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحدا(١) .

وبذلك كانت القصة الواقعية فى الإسلام تحمل الاتجاهين معاً : الشر والخير وغالباً ما تحمل القصة الواحدة من قصص الأنبياء السابقين وأممهم غرائز الشر أعنف ما يكون الشر والحقد والكذب وسوء الطباع ولؤم النفس مصوراً تصويراً واقعياً ينفر الناس فى كل مكان وزمان وبجانبه « غرائز السمو ، والعدل والعفو — والتسامح ومجاهدة النفوس من أجل الارتفاع عن كل دنية وتربية المجتمعات والأفراد تربية مثلى فى حياة كلها مودة وتعاون على البر والتقوى وبذلك تفردت القصة الإسلامية (قرآناً وسنة) ، كما ننبه إلى أن سيرة رسول الله ﷺ — فى كل لحظة من حياته وفى كل مكان عاش فيه ، وفى كل معركة حربية قادها تصور قصصاً رائعة يحمل ملامح القصة الإسلامية بجانبها الشر والخير وكذلك سيرة أصحابه من الخلفاء الراشـــدين وغيرهم وقواد سراياهم وماكان يشيع فى حياتهم من كرامات فاقت كل خيال وما حققوه من نتائج عجز التاريخ أن يصورها ولم يعرف لها البشر مثيلا منذ كان البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها — ومن هذا ندرك أن القصة الإسلامية شملت القصص الواقعى بالمعنى الحديث وهو تصوير القطاعات الدنيا من المجتمع وفى الحدث نفسه حوت القصة المثالية وهى تصوير البطولات الخارقة والعبقريات الفـذة النادرة فى المجتمع وبدلا من تشقق القصص إلى قصص واقعى مسف يصور حياة السفلة والمجرمين ومن يتهددون البشرية وقيمها والصفات الدنيا فيرضى غرائز الشباب والنزعات الخفية فى عقل

---

(١) الكهف ٢٢ .

الإنسان الباطن كما تقول مدارس علم النفس وكما يبين أرسطو فى تصويره (أن هذا يشبع غرائز الإنسان فيطهره) .

فالتطهير لم يحدث أبداً وإنما الذى حدث هو العكس — عصابات المافيا وعصابات شيكاغو — وعصابات الزنوج — وكثر هذا مستقلا ، وأما اتجاه الخير وهو الاتجاه المثالى فقد قل القصص عنه ، لأن « واقعية القصة » هذا المصطلح الخاطىء فى أذعانهم الذى شمل الإسفاف فى الشكل والمحتوى أصاب المغات بالانحدار وكذلك الأخلاق ، وكون الإجرام والعصابات فأصبحت العقول لا تستسيغ مثالية القصة ، وإن جاءت المثالية لإشباع بعض الغرائز الإنسانية تأتى مفتعلة غير مرتبطة بالحياة فترضى طبقة نادرة فى المجتمع وغالباً ما يكون قصصاً يقرأ فقط .

وقد تأتى المثالية فى ذيل القصة حدثاً هامشيا ، كما فى محاولة تزويج أشخاص القصة بعضهم بعد أحداث طويلة من الإجرام والحقـــد والدس والانحدار المسف ، وبذلك سمت القصة الإسلامية فى تصوير الاتجاهين معاً فى حدث مترابط وأشخاص واقعية يمكن لأى شخص أن يقتدى بها وكذلك أية مجموعة أو هيئـــة مع بيان عاقبة السوء للاتجاه الإجرامى ونصر الله وأسعاده للاتجاه المثالى بعد صبر وثبات ، ولو اتخذنا أية قصة للصراع مع أى نبى وقومه لوجدنا هذا واضحاً يقتدى به فى يسر — مصوراً فيها النوازع الشريرة بجانب السجايا السامية — كذلك نجد هذا فى قصة (ذى القرنين) وغيرها وعلى هذا تجد أن القصة الإسلامية تمتاز بما يلى :

(أولا) : عظمة الحدث وإنسانيته مع ارتباطه بالواقع فى الوقت نفسه .

(ثانياً) الاعجاز فى تصوير الشخصيات وسمو المثل التى يطالبنا الله بالتأسى بها ويسر هـــذا التأسى — ثم بشاعة الصور الإجرامية حتى تنفر النفوس منها وتبتعد عن دنسها فى السلوك وانحطاطها فى المشاعر .

(ثالثاً) دقة الحوار على ألسنة الأشخاص حواراً يخدم سير الحدث ويرسم مواقف التأزم ثم الحل والانفراح على الرغم من الزخارف المصطنعة والنوازع التى تشد الإنسان نحو الانحدار مما يرسم صراعاً مشوقاً بين الخير والشر «وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون »(١) «وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيرا ، وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحـــدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » (٢) .

(رابعاً) : قمة الصراع ودقته حتى ليكاد يقرب من الاستحالة فى الظن مع أنه واقعى ، ويتضح هذا فى أوائل سورة الفرقان أن الله سبحانه وتعالى يرسم للناس صوراً بشرية تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق وتجاهد ضد الشر وتقابلها الأزمات والعقد ويكيد لها المجرمون ويستخدم شياطين الانس كل وسائلهم الدعائية وكل أساليب جذب غرائز الانسان وشهواته نحو الانحدار الاجرامى ثم سمو البشر وتغلبهم على كل هذه الخدع الشيطانية .

(خامساً) : شمول تصوير القصـــة الاسلامية للنزعات البشرية والشخصيات السوية والشاذة فى المجتمع ، وبهذا تبلغ القصه الاسلامية حـد الاعجاز فى رسمها للشخصيات ومختلف العواطف والغرائز وإبراز مكنون خلجات نفوسها وأفكارها وخطرات عقولها مصورة الاتجاهين فى الانسان فتقرأ فى القرآن « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله(٣) هذه هى الشخصيات الفارغة التى تقطع الوقت بالخرافة وأيضـــاً ـــ

---

(١) الأنعام ١١٢ .
(٢) الفرقان ٣١ ، ٣٢ .
(٣) لقمان ٦ .

ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام » . (١)

هذه صورة النفاق حتى لقد ظن بعض الصحابة أن القرآن لن يترك أحداً حتى يخرج ما فى نفسه ، وكذلك الشخصيات السابقة لمحمد — ﷺ — من الأنبياء مع الطغاة حتى شخصية المرأة حين تعصف بها أنوثتها ، وراودته التى هو فى بيتها ، فى دقة التعبير ، ترسم سمو هذا المملوك الذى يمكنها أن تلعب بمصيره وسمو الشباب الطاهر المعتصم برجولته وفتوته وشبابه وصاحب الفكرة السامية التى من أجلها يضحى باللذة ويضحى بالأمن وبالحرية ويعيش فى طهر مع فكرته فى غياهب السجن ومعه أمله فى الله وحين يتولى خزائن الأرض لا تفتنه الخزائن كما لم تفتنه من قبل اللذة فى صورة يستطيع أى شاب يعتصم برجولته وشهامته وأمله وقوة عقيدته أن يسير عليها .

ذلك تصوير لغرائز الغرام والشهوة وسبيل السمو بها .

أما شخصية المتكبر الطاغية فيراها — مثلا مع طاغية إبراهيم عليه السلام الذى أنساه كبره عقله فقال « أنا أحيي وأميت » ، وذلك لأن الله آتاه الملك ثم ثم تلاشى أمام تحدى المثال الصادق من نبى الله إبراهيم الذى يملك عقله فى أدق الموقف فى حوار بارع ودليل قاطع « فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » (٢)

هذه الصورة فى دقة رسم الشخصيات وأعجاز الحوار المعبر مع يسر تدبره وفهمه وسهولة التأسى به والاقتداء تنفرد بها القصة الإسلامية .

(سادساً) براعة العقدة وسموها فوق كل خيال وأن كانت واقعية حدثت

---

(١) البقرة ٢٠٤

(٢) البقرة ٢٥٨

وقام بها أشخاص من البشر مع شدة ارتبـــاط العقدة أو موقف التأزم بأحداث القصة والتلميح إليه فى سير ا حداث من قبلها وبذلك ترى مواقف متأزمة بنيت على أحداث سابقة كصنع نوح للسفينة — وسخرية قومه — وتعجبهم من هذا العمل — .

كل هذا يمهد لموقف الأزمة (الطوفان) ثم لبراعة الحل والانفراج وهو انتصار الخير فى النهاية وهكذا .

فى القصة الإسلامية عموما ما يحفزه الدارس عـــلى تدبرها والسير مع أحداثها وشفاء النفس بما بها من أحداث وأزمات ونهايات منطقية واقعيه مرتبطة بالحياة ومتكررة فى المجتمعات تبين سعة حـــلم الله وعظمة ملكه ورحمته بعباده نتيجة للسير الطويل فى الصراع النفسى والجسمانى الطويل الذى كاد يؤدى إلى اليأس — وهو فعلا — فى القصة غير الإسلامية — يدفع لليأس والانتحار بنوعيه : انتحارا إجراميآ فى صورة عصابات من الشباب الذى يقلد القصص البوليسية ويخرج ليرتكب جريمته أو انتحاراً فعليا كما يحدث لكثير من قادة الشعوب حينما يواجهون بالأزمة كهتلر — مثلا — أما القرآن فيقول « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين »(١)

فتكون القصة الإسلامية فرجاً بعد شدة ويسراً بعد عسر نتيجة لصبر طويل وشرع منير وحلم رب كبير .

---

(١) يوسف ١١٠

القصة الفكريه الاسلامية

ومقارنتها بالقصـــة الفلسفية والصوفية

القصص فى القرآن وفى الحديث فى غالب أمرها قصص تحمل طابع القرآن الذى يجعل التدبر أساسا من أسس الانسانية ، ولذلك نرى أن هذه القصص الاسلامية يقرأها الانسان الساذج فيتأثر بها ويقرأها الانسان المفكر كما يقرأها الفيلسوف فيرى فيها عمقا فكريا وعظيما .

إن القصة الاسلاميه تشع على الانسانية نوراً كما تشع الشمس على الأرض نوراً وكما أن الشمس ترسل أشعتها على كل المخلوقات وكل الاجناس من البشر وكل مخلوق يستمد منها الدفء والحرارة والحياة على قدر حاجته بدقة محكمة لاتزيد فى حرارتها فتقتل الناس حرا ولافى بعدها وغيابها فتقتلهم بردا وقرا .

كذلك القصص القرآنى : عميق عمق المحيطات يسمع الناس جميعا ويسير يسر الشمس يحيى الناس جميعا .

من ذلك نرى أن القصة الفكرية الاسلامية تمتاز بخصائص منها :

١ ــ ربط الفكر والتأمل بالحياة والواقع مع عمق البحث فى جوانب هذه الحياة وفيما يحيط بالانسان من جماد ونبات وحيوان وأرض وسماء وفيما يتعامل فيه الانسان مع أخيه الانسان .

٢ ــ تصل دائماً إلى هدف واضح يدركه كل بشر أيا كانت درجة قدرته، فهذا الهدف ليس هدفا رياضيا ولا فكرة غائمة وإنما هو حقيقة تضع أساساً من أسس سعادة الانسان فى حياته الحاضرة وفى مستقبله .

٣ ــ يسر تطبيقها فى حياة البشر أيا كانت درجـــة رقيهم أو تخلفهم وتحضرهم أو بداوتهم بعد هذا الوضوح الفكرى الملتئم بالحياة والواقع وبعد

إدراك الهدف السامى الشامخ ، يبدأ الانسان فيجد فى حياته أحداثاً تطلب حلا ويرى فى المستقبل ألغازا يود لها تفسيراً وتدور فى خلده أفكارا سامية يود لها تطبيقا فيلجأ إلى القرآن والسنة ليجد لكل ذلك قصصاً يثبته ويقوده إلى هذه الأمور ، ومن ذلك مثلا ما نجده فى بعض القصص الآتية :

أولا : تفكير الفتية المؤمنة من أصحاب الكهف الذين قادهم تفكيرهم إلى الايمان بالواحد الخالق سبحانه إلى الخروج على وثنية مجتمعهم يبحثون عن حياة تناسبهم فيعتزلون الباطل ليشعروا بنعمة التحرر العقلى وبلذة الحياة الطيبة التى تتعبد الله وحده ثم رحمة الله بهم وإنقاذهم من الفتنة وجعلهم آية يقتدى بها أصحاب الفكر الحر والسلوك السوى.

ثانياً : تفكير صاحبى الجنتين تفكيرا متبايناً ، تفكير المغتر المتكبر الذى أدى إلى توقف النور المتوهج فى قلبه وشل التفكير من عقله معتمدا على المادية البحتة ضاربا بالنصائح عرض الحائط هازئاً بالمثل وساخراً من الأخلاق الحسنة ، فكانت نتيجته الهلاك فى الدنيا والجحيم فى الآخرة ومعه فى مجتمعه وفى مكانه وزمانه خط فكرى آخر يحافظ على مثاليته ويحتفظ بالنور فى قلبه عابداً ربه ، مستمسكا بفكره وتقديره لعقله فيدوم له حظه من الدنيا ليسعد بها ويأنس إلى رضوان الله فى عاقبته .

ثالثاً : تفكير موسى عليه السلام حينما ظن أنه لا أحد أعلم منه . ومع أنه كليم الله يتعلم درساً فان العلم البشرى مهما كانت حدوده له نهاية وأن نور الله فى رسالاته التى تشمل اشعتها الناس جميعا كلا حسب ما يكفيه وحسب ما يحتاجه فكان أن تحمل موسى مشقة الترحال ليصل إلى هذه النتيجة وكانت دروسه التى تلقاها على يد العبد الصالح وغيرها له — عجبا — .

يعلم كل إنسان فى الدنيا التواضع العلمى والجهد والتعب من أجل تحصيل العلم ثم العمل بما يتعلم ثم أخيرا بعد الاجتهاد والعمل ترك النتيجة لله . فعسى

أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ،وكم أرجو لكل متعلم ودارس مهما يحمل من الألقاب العلمية أن يستفيد من هذا الدرس القرآنى وأن يتعلم التواضع العلمى وألا تبعد حياته طرفة عـــين عن علمه وأن يبذل كل طاقاته فى تطبيق ما تعلم وأخيرا وهذا هو الأهم ألا ييأس من أى نتيجة ولو كانت غير مرغوبة فقد يكون فيما يكره باب الأمل.

رابعا : تفكير ذى القرنين وسياحته فى الأرض وعدالته بين الناس ونشره للدين الحق م تقدمه الصناعى البارع فى التعدين وصهر المعادن وبناء السدود إن أى زعيم اوحاكم يستطيع أن يتخذ من ذى القرنين أسوة يصل بها إلى عظيم رضوان الله مع حياته السعيدة التى يعيشها بين أحداث مشوقة وسياحة فى الأرض رائعة ودراسة لمختلف الشعوب واطلاع ينسى الانسان كل مشاكل الحياة .

هذه المثل تود لكل إنسان أن يطلع عليها وجدانا يسعد القلب ، وفكراً يشد أعمق المفكرين وحياة سعيدة تسعد العاملين وأملا يملأ المستقبل بالخير ويراها الإنسان فى سورة واحدة من سور القرآن هى سورة الكهف التى نحيل الدارس عليها حتى يرى عظمة تسلسل القصص ودقة أحكامه ، وإعجاز يسره وسمو أفكاره ، على أنا لابد أن نشير إلى بعض المثل السريعة فى القصص القرآنى ونحيل القارىء إلى مصدرها فى القرآن — مثلا — مشكلة الاستشهاد وقتل الأطفال ظنما من حاكم ظن أن فى ذلك إبقاء لعرشه ، فأم موسى تلد فى وقت رهيب علا فيه فرعون فى الأرض يقتل الأبناء ويستحيى النساء ، ومولود أم موسى لابد صائر إلى هذا وفى المخاض وفى جو الرعب يحيط بها المرض والرعب ، ولكن تفكيرها يتجه إلى الله سبحانه فتكون البراعة فى الاعجاز — أتخافين على موسى الوليد ؟ !! ألقيه فى اليم !! .

وتنتقل من خطر إلى مخاطر متعددة تصنع صندوقا لتضع فيه الوليد ،

إن أحكمت غلق الصندوق اختنق الوليد ، وإن تركت إحكامه غرق وتسرب إليه الماء أو مات بردا ، مخاطر لاتنتهى ، ثم فى اليم ماذا ينجيه من وحوش اليم ومن يدرى ، بيد من ينقذ ومن سيحميه ، ولكنها يشدها نداء ربها «فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين» — أمران يجب أن تفعلهما أم موسى فالخوف غريزة إنسانية وهو أمر لايخلو منه بشر ، يسير القرآن على إقراره فى واقعية يسيرة لاينهر عليها ولايعاقب ، هذا أمر ثابت فى نظر البشر لايعاقب عليه القرآن — ثم ألقيه فى اليم حيلة ظاهرها الخروج من خطر واحد إلى مجموعة من المخاطر .

بعد أن تفعل ذلك يأتى التوجيه فى نهيين واضحين « لاتخافى » انتهى الخوف ، لأنها اتخذت الله وكيلا وهو نعم الوكيل وبذلك أصبح فؤادها فارغاً والنهى الثانى « لاتحزنى » والحزن غير الخوف ثم أمل وبشارات . إنا رادوه إليك — هذا أمل سريع كان هو كل ماتفكر فيه - أم موسى - وهو أسمى مانطلب ، يزيدها الله أملا عظيما هو أرقى مايتمناه الصفوة من البشر ، جاعلوه من المرسلين ، ثم يصل الوليد من اليم إلى قصر فرعون والظاهر أمام الانسان العادى أن اليم قدم موسى للغائل فلا بد أن يقتله ولا مفر من هذا المصير ، فرعون قرر قتل كل ذكر من بنى اسرائيل ، وهذا ذكر من بنى اسرائيل (موسى) جاء اليه واقتحم قصره ولكن بلطف العليم الخبير يقلب القلوب فى قصر فرعون فيربى فرعون فى قصره من سيهز عرشه ومن سيزرع الاسلام والتوحيد فى مصر حتى يسجد له السحرة ثم ينهى هذا العلو والاستبداد فى الأرض ويؤسس اتجاها فكريا جديداً .

فكر اصبار خطوة خطوة فى الحياة يغالب المخاطر حلقة وراء حلقة ويتغلب على الصعاب وينجو من المآزق ويصل الى الهدف ويطبق الفكرة على الحياة ، يستطيع أى داعية أن يعتمد على الله وأن يقابل المخاطر بهذا الوعى الاســـلامى ، وأن يدع للوكيل سبحانه ترتيب النتائج

مادام قد ربط حياته بهذا الاتجاه الفكرى المعتمد على الله وهذا ـ تفكير يوسف عليه السلام ـ تفكير إنسان فوق المادة والغريزة له مبادىء يدعو إليها فى كل المخاطر التى تواجهه ، يتمسك بترفعه عما يسف وبعفته يقاوم بها طغيان اللذة والشهوة وبعزته يسمو بها فوق من يملكون القصور ومن يتحكمون فى الأمة فهو مع عبوديته أعز من الذى هو فى بيتها وأعز من عزيز مصر وأعز من المجتمع الراقى من نسوة مصر .وهو فى سجنه ليعبد الله وحده ويسخر من عقيدة من سجنوه « إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » الآية . فكان الله يصرف الأحداث لصالحه فتحتاج الأمة كلها له ويتقرب اليه فرعون مصر راجياً إنقاذه وإنقاذ الأمة على يديه .

وينتقل من السجن ليتربع على خزائن الأرض متمسكا بعقيدته وسموه متواضعا خاشعاً لربه ، ساميا فوق دسائس الحكام كما كان ساميا فوق كيد النساء على الرغم من أن كيدهن عظيم ويعفو عمن حاول قتله من اخوته ومن ألقوه فى الجب وزهدوا فيه فباعوه بثمن بخس عفوا يتحدى كل من يدعى الحلم ، لأنها أخلاق من اصطفاهم الله بل لقد أتى يوسف باخوته ليعيشوا فى كنفه فتكون النهاية رضى الله ويكون الأمل « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخـــرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » (١)

يستطيع أى داعية فى هذه الأحوال التى تمر بكل إنسان ، حالة الاضطهاد والظلم وحالات الغدر والتنكيل بالأبرياء وحالات السجن الرهيب ان يتأسى يوسف حتى فى سجنه مستنيرا بهدى الله فى ظلمات السجن مستمسكا بالفكر السليم فى أعتى مواقف الغدر وبين شباك الكيد والدس .

هذا إن كان الله قد ابتلى الانسان بالشر أما إن كان الله قد ابتلاه بالخير فليدم

---

(١) يوسف ١٠١

تواضعه واتزانه الفكرى وسماحته وسعة عفوه عمن ظلمه — هذا هو طريق القصص القرآنى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » (١) « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون » (٢) ونكتفى بهذا القدر من المثل القرآنية ونشير إلى أن القصص فى الحديث الشريف يسير فى هذا الاتجاه فمن يقرأ قصص الثلاثة الذين دخلوا الكهف أو قصة ثة الثلامى بنى اسرائيل « الأعمى — الأبرص — الأقرع » أو قصة جريج العابد يجد حياته هو نفسه فى هذا القصص فلا تخلو من مثلها حياة البشر .

---

(١) الأنبياء ٣٥ .

(٢) الفرقان ٢٠ .